العرب
الجمعة 2020/03/13
السنة 42 العدد 11645

أكتب الرواية وغوايتي الكبرى هي السينما

مي تلمساني: أنا مصرية.. لكنني جزائرية وتركية وكندية أيضا

الكاتب لا يستطيع تجاوز ذاته إلا في حدود ضيقة جدا

تُعتبر مي التلمساني أحد الأصوات الروائية التي تنسج مشهد الكتابة الروائية الجديدة بمصر. وبالإضافة إلى اهتمامها بالكتابة السردية، أصدرت مي التلمساني عددا من الترجمات في مجالات النقد والسينما، من بينها "المدارس الجمالية الكبرى"، و"السينما العربية من الخليج إلى المحيط". تعمل مي التلمساني في تدريس السينما والدراسات العربية بجامعة أوتاوا الكندية.

حسن الوزاني
كاتب مغربي

تتميز النصوص الروائية لمي التلمساني باعتمادها الكبير على التفتيت وعلى المقاطع. وعما إذا كان ذلك يشكل بحثا عن هامش تجريبي لتجاوز جانب من تقليدية الرواية، تعترف التلمساني بكونها تحلم بكتابة رواية لها نفس طويل، لكنها تخشى أن تكون أول من يمل قراءتها! وتضيف أن هناك دائما تلك الرغبة العنيدة في محاكاة الكبار في عظمتهم وابتكارهم وتحديهم للزمن. وهناك في الوقت نفسه وعي كامل بأن الشرط الأدبي والتاريخي يفرض التغيير. وتعتبر مي التلمساني أن المقطع هو الوحدة الفنية التي تجد نفسها قادرة على اللعب معها بحرية، حيث يمكن إعادة كتابة المقطع مرات عديدة، ويمكن تغيير موقعه من الرواية بحرية، ويمكن التنازل عنه بيسر أثناء الكتابة وأثناء القراءة أيضا. وبالتالي، فهو يتيح قدرا من الارتحال داخل النص، ويسمح بالتجريب على المستوى البسيط وعلى مستوى التشكيل العام للكتاب. كما تعتبر التلمساني المقطع سلاحا فعالا ضد السأم. إذ يهمها كثيرا أن يشعر القارئ بمتعة القراءة.

> النقد السينمائي يشكل نافذتها الأخرى على مستوى الكتابة. الكتابة هي حالة قفز مستمر بين العوالم المختلفة

وبخصوص الاختلاف الذي يطبع نصيها الروائيين "هليوبوليس" و"دنيا زاد"، من حيث الكتابة، وإن كان هذا الاختلاف يشكل بحثا عن تجاوز نفسها، تؤكد مي التلمساني أن الكاتب لا يستطيع تجاوز ذاته إلا في حدود ضيقة جدا. وتعتبر أن أحد الهوامش الممكنة لتجاوز وصفة الكتاب الأول، إذا نجح، تكمن في محاولة الخروج من أسر الوصفة باقتراح وصفة غيرها. في "دنيا زاد"، كما تؤكد التلمساني، تحضر "الحدوتة" الذاتية والكتابة القائمة على أصوات مختلفة والتي تجد صدى لدى القراء. في حين، يتسم نص "هليوبوليس"، بالإضافة إلى روح السيرة الذاتية، بإطالته على التاريخ ومحاولته محاكاة أساليب مختلفة في الكتابة العربية. وإن كان ما يجمع بين النصين هو كونهما يعتمدان على المقطع كوحدة تكاد تكتفي بنفسها في عالم النص.

السينما موئلا

لا تقف تجربة مي التلمساني عند الكتابة السردية. إذ يشكل النقد السينمائي نافذتها الأخرى على مستوى الكتابة. وعن تدبيرها لهذا التعدد، تؤكد التلمساني أن الكتابة هي حالة قفز مستمر بين العوالم المختلفة التي تمثل خبرة معرفية لدى الكاتب. كما تعترف بأن السينما بالنسبة إليها هي غواية ومهنة لم تفلح في الالتحاق بها، وبأنها تفكر أحيانا في أن السينما، التي تصنع جانبا هاما من خيالها، هي مصدر الحقيقة الممكنة، مثلها مثل الأدب. لكنها عندما تكتب بمنطق الأدب، تتمنى، كما تقر، ألا تكون الرواية صالحة للاقتباس سينمائيا. لأنها تفقد بذلك الشرط الفني الأدبي. ورغم إدراكها للتداخلات الكثيرة بين الفنون إلا أن مي التلمساني تظل مقتنعة بخصوصية الوسيط. إذ أن الكلمة لها صوت ولها صورة مفترضة، لكن الصورة تتجاوز بكثير حدود التعبير اللغوي.

اختارت مي التلمساني الإقامة بمونتريال بكندا منذ نهاية تسعينات القرن الماضي، قبل انتقالها إلى العاصمة أوتاوا. وعن سؤال يخص ما الذي يمكن أن تمنحه مدن متعددة كمونتريال وأوتاوا لتجربتها على مستوى الكتابة والحياة، تؤكد التلمساني أن هذه المدن وهبتها فرصة رؤية أشمل إلى فكرة "الحياة معا"، على الرغم من التعدد الثقافي واللغوي والديني الكبير الذي يميز المدن الكبرى في كندا. وستدرك التلمساني مع الوقت أن السلام الذي يعم بين الديانات والأعراق المختلفة في كندا يتأسس على احترام مبادئ المواطنة ودولة القانون وقواعد الدولة العلمانية الحديثة، معتبرة ذلك تجليا للحرية التي هي أجمل ما يمكن أن ينعم به الكاتب المهاجر مثلها والذي يعاني بلا شك من تكبيل الحريات في وطنه الأم.

وبخصوص اندماجها في المشهد الأدبي بالكيبك، تقر مي التلمساني بكونها لا تستطيع إدعاء ذلك. إذ أنها تكتب بالعربية للجماعات المهاجرة من أصول عربية والتي لا تمارس قراءة الأدب بما يكفي لتشكيل جمهور عريض من القراء. وذلك بالإضافة إلى إشكالات توزيع الكتاب العربي على مستوى العالم. بينما سيشكل صدور ترجمة كتابها "للجنة سور" بكندا مؤخرا المرة الأولى التي تشعر فيها التلمساني بقدر من الانتماء إلى المشهد الأدبي الكندي، بعد عشرين عاما من الهجرة.

عن سؤال يخص ما تضيفه الترجمات المتعددة لنصوصها على مستوى تجربتها الإبداعية، تختزل مي التلمساني الأمر في السفر بمعناه الجغرافي، أي الانتقال إلى بلدان لم تزرها من قبل بدعوة من جامعات أو مؤسسات مدنية. وهو أمر مهم بالنسبة إليها وإلى تجربتها في الكتابة. وإن كانت تعتبر نفسها ملولة، لا تكاد تستقر في مكان إلا وتتوق لمغادرته. كما تشير التلمساني إلى الإحساس الجميل باتساع رقعة القراء المجهولين الذي يمنح الكاتب ثقة في مهنته. وإن كانت لم تعد تبحث عن القارئ كما كانت تفعل منذ سنوات، إذ أصبحت تثق في وجوده الافتراضي، وهو ما يزيدها إيمانا بأن ما تفعله لا يذهب سدى. وتستطرد مي التلمساني قائلة "في كل بلد أزوره، ألتقي بناس لا أعرفهم ولديهم الرغبة الصادقة في التعرف علي وعلى عملي، يجذبهم عادة كوني كاتبة عربية تتحدث الفرنسية بطلاقة ولا ترتدي غطاء رأس!".

سؤال التغيير

بعد ثورة يناير، أطلقت مي التلمساني، رفقة آخرين، مبادرة "مصر دولة مدنية". وعن سؤال يخص دور الكاتب المفترض على مستوى التغيير، تقر التلمساني بأن هذا الدور يبدأ من الأدب وينتهي إليه. كما تعتبر أن طموحها الأكبر هو تثوير الكتابة على قدر الإمكان، وتقديم رؤى وأساليب تخصها ككاتبة، رغم أنها لا تتصل بالسياسة ولا تخضع لها. أما في ما يخص مبادرة "مصر دولة مدنية" فقد أطلقتها كأكاديمية وكمواطنة مصرية قبل أن تكون كاتبة. وتشير مي التلمساني إلى أن المبادرة جاءت بعد أيام من سقوط مبارك حين اتضح لها من قراءتها للأحداث أن المجلس العسكري وجماعة الإخوان المسلمين، وهما أقوى فصيلين على الساحة السياسية، قد اتفقا على توزيع السلطات بينهما. وكانت مثلها ومثل الملايين غيرها تؤمن بضرورة خروج مصر كدولة من مأزق الثنائية السياسية الحاكمة، وهي في جوهرها ثنائية مدعومة من الغرب ومفروضة على العالم العربي منذ عقود. بينما كان الهدف من المبادرة هو التوعية بأهمية سلوك الطريق لتأسيس دولة مدنية حديثة، لا تخضع لسيطرة المؤسسة العسكرية وترفض سيطرة الإسلاميين والمؤسسات التابعة لهم، سواء كانت جماعات أو أحزابا منظمة أو مؤسسات دينية كالأزهر، على مقاليد السلطة.

الاسم وظلاله

يحيل اسم التلمساني على الأصول الجزائرية للكاتبة، وهي المولودة بالقاهرة والمقيمة منذ سنوات خارج مصر. وتعتبر مي التلمساني هذا التعدد ثروة. وتستطرد قائلة "لكننا لا ندرك كم نحن أثرياء إلا لاحقا، حين نكتسب مناعة ضد دعاة الوحدانية القومية والثقافية". كما تشير التلمساني إلى أنها كانت تنساق، في طفولتها وشبابها، وراء دعوات الهوية الواحدة وتبحث عن حقيقة واحدة تفسر وتشرعن علاقتها بنفسها وبالآخرين. كانت حينها طالبة في مدرسة راهبات فرنسية، من أسرة مسلمة تتحدث العربية، وكانت على علم بأصولها المغاربية والتركية (من خلال جدتها لأبيها). لكنها كانت تغتاظ، كما تقر، حين يعتبرها البعض "غير مصرية" أو "مصرية مشكوك في مصريتها"، وكانت تنبري للدفاع عن تلك الهوية باعتبارها أحادية راسخة. ثم اكتشفت مي التلمساني، قبل الهجرة بسنوات، أن هذا التعدد هو ما يميز الجميع وأن الفرق بينها وبين الآخرين هو درجة الوعي بالتعدد الثقافي واللغوي والعرقي ودرجة القبول أو الرفض لهذا التعدد. الآن وقد أصبحت أيضا كندية بحكم الانتماء القومي فقد أضيفت لهوياتها هوية جديدة تسعد بها وتنتمي إليها.

وتستطرد التلمساني قائلة "أعتبر نفسي إذن كاتبة، امرأة، أمًا، أستاذة جامعية، مصرية، عربية، كندية، فرانكوفونية، من أصول جزائرية مغاربية، يسارية ومرتحلة عبر الحدود والثقافات، أحرص على ألا تطغى صيغة أو هوية على الصيغ والهويات الأخرى، لكني بلا شك أعيش هذ التعدد بسلام وأتقبله بلا صراعات كبرى".

هل نهزم كورونا بالرقص والغناء والسينما

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

عزيزي الوطني جدا الغيور جدا على الوطن ومصلحة الوطن وسلامة الوطن: من الجميل أن ترفع شعارات تتخيل أنها من الممكن أن تشحن الآخرين بالأمل، لكنك ستسقط في الشعور البشع بالإحباط عندما تستفيق على حقيقة أن شعاراتك القوية العنترية لم تغير الواقع ولم تجعله أفضل.

الشعور الوطني جميل. ولكن العقل أيضا أجمل، وتحكيم العقل هو الذي يرتقي بالإنسان ويجعله يبتكر وسائل علمية تمكنه من اجتياز أزماته والخروج منها سالما. وأما الشعارات فكثيرا بل وغالبا، ما لا تؤدي سوى إلى مزيد من النكبات والنكسات.

أتساءل هنا سؤالا بريئا: هل أدت مثلا شعارات القضاء على الإرهاب أو التصدي له، إلى وقف الإرهاب أو حتى التقليل من عملياته وفظائعه؟ أنا لا أقصد ما يردده السياسيون فمهمة أهل السياسة تضخيم ما يفعلونه وإقناع الشعوب بأنهم "يفعلون الشيء الصواب". لكني أقصد تحديدا أهل الفن. فنحن قوم نعشق ونتهلل كثيرا عندما يذهب مطرب الى حفل في أقاصي الصعيد المصري مثلا لكي يقف على مسرح كبير أمام جمهور غفير ويزعم أنه جاء "للتصدي للإرهاب وهزيمته" بالغناء. ويهلل له الجمهور بالطبع، فهو يدغدغ مشاعر الناس بكلماته وادعائه "الشجاعة". وهو ما يماثل ذهاب مجموعة من أهل الفن والسينما الذين يطلقون عليهم "النجوم" ليعربوا عن وقوفهم ضد الإرهاب. دون أن يسأل أحد نفسه: وكيف ياترى سيتصدى هؤلاء النجوم المدللين للإرهاب وصناع الإرهاب؟ هل بالأقلام؟ وهل الأفلام يمكنها أن توقف الإرهاب؟ وهل مهرجانات السينما تكبح العمليات الإرهابية؟

أتفهم بطبيعة الحال أن هناك شيئا ما رمزيا يكمن في تلك التظاهرات "الرسمية" التي تشجع عليها السلطات، من أجل "رفع الروح المعنوية" لكن الحقيقة أنها مجرد ضحك على الذقون. فلا السينما يمكنها مقاومة الارهاب ولا وجود الثلاثي المرح السينمائي: الهام شاهين وليلى علوي ويسرا، في جميع التظاهرات الرسمية، يمكنه أن يساهم في إقناع الإرهابيين بالتخلي عن أعمالهم الإرهابية. فمقاومة الإرهاب عملية معقدة تشمل جوانب عديدة أمنية وعلمية واجتماعية واقتصادية وسيكولوجية، وقبل هذا كله، تتضمن انفتاحا سياسيا على الاتجاهات العلمانية المدنية المختلفة، وتشجيع الثقافة المنفتحة على العالم، وتغيير نظام التعليم بحيث يصبح تعليما يقوم على أساس الوعي بما يحدث في العالم، وليس التلقين الذي ينطلق من ثقافة وفكر "رجل واحد وفكر واحد" وكل هذا الهراء.. فالحرية الفردية هي أساس التقدم الاجتماعي. وفتح مجال حرية التعبير والرأي والفكر والعقيدة، هو أساس الأمن والسلام والاستقرار الاجتماعي. وكلها أمور يعرفها كل من يستخدمون عقولهم في التفكير وليس غرائزهم البدائية التي تجعلهم يخضعون لما يتردد في أجهزة الإعلام الموجهة.

كان من المثير للسخرية أن أرى مثلا من يزعمون أنهم سيتصدون لفيروس كورونا بمهرجان سينمائي. فالعالم كله ألغى وأوقف مهرجانات السينما حرصا على سلامة الناس. ويمكنني القول عن نفسي أنني من عشاق السينما منذ طفولتي وأنني وهبت حياتي لها وتخليت عن وظائف أخرى كان يمكن أن تجعلني أعيش حياة أكثر استقرارا وسعادة من أجل السينما. ورغم ذلك فأعتقد أن حياة البشر أهم مائة مرة من مهرجانات السينما، بل وحياة إنسان واحد أهم من مشاهدة أي فيلم مهما كانت أهميته. فالسينما وجدت لكي تجعل حياة الانسان أفضل، لا من أجل أن نضحي بالبشر من أجل أن تبقى السينما، وهو نفس الفكر المتخلف العقيم الذي يروج لفكرة التضحية الجماعية بالبشر من أجل أن يحيا الوطن. فأي وطن هذا الذي يمكنه أن يحيا على جثث أبنائه!

أنت ياعزيزي لا يمكنك أن تتغلب على وباء كورونا بالغناء والرقص ومهرجانات السينما، بل بالعلم والحرص على حياة البشر واتخاذ إجراءات صارمة تحمي البشر وتجنبهم المرض وانتشار الفيروس اللعين، فما يواجهه العالم اليوم الذي نحن لسنا بمعزل عنه، هو وباء خطير لا يشبه ما سبق أن عرفناه في العقود الخمس الأخيرة على الأقل. وأنت لست أقل من دول كبرى متقدمة صناعيا وعلميا مثل إيطاليا أو حتى الصين، التي فرضت إجراءات عزل شملت مقاطعات كاملة بل وفي الحالة الإيطالية شملت إيطاليا كلها، بينما أنت سعيد بنفسك وبنجومك وباستعراضك الهزلي في مواجهة فيروس كورونا بالرقص والغناء والأفلام، دون أن تتخذ من الإجراءات ما يضمن السلامة لضيوفك.

> لا السينما يمكنها مقاومة الارهاب ولا وجود الثلاثي المرح السينمائي: إلهام شاهين وليلى علوي ويسرا، في جميع التظاهرات

وبعد أن انتشر الفيروس اللعين بين السياح لم يعد هناك مفر من وقف الأنشطة من هذا النوع لكنها في الحالة المصرية لم تشمل بعد كل الأنشطة الجماعية بما في ذلك اغلاق المدارس. وكأننا نعيش في جزيرة منعزلة عن الحضارة الإنسانية. فبينما تعلن رئيسة الحكومة الألمانية أن ما بين 60 و70 في المائة من الشعب الألماني سيصابون بالفيروس، لا نعرف بعد كم نسبة المعرضين للإصابة في مصر، وكيف ستواجه الحكومة الوباء في حالة انتشر بنسبة كبيرة بين السكان، وهل المستشفيات الموجودة بإمكانياتها الحالية، تستطيع التعامل مع الحالة؟ فإذا كانت إيطاليا وألمانيا وبريطانيا، وهي دول تمتلك أنظمة صحية متقدمة من جميع الجوانب، تشكو وتعلن للجميع من الآن أن مستشفياتها ومنظوماتها الطبية لن تتمكن من التعامل سوى مع الحالات الخطيرة فقط وستوقف الاهتمام بالإصابة بأمراض أخرى، دون أن نعرف كيف سيكون التعامل مع المصابين في حوادث الطرق أو الأزمات القلبية.. وغيرها.

ولكن كلها أمور مطروحة للمناقشة في المجتمعات المفتوحة، ولم نر ممثلا أو مطربا مشهورا يظهر لكي يعلن أنه سيتحدى الكورونا بالغناء والرقص والسينما سوى في بلاد "كله تمام ياريس". وهي مهزلة حقيقية!

لا النجوم ولا المهرجانات يقاومون كورونا